التراب . لله ما أطهره وأنبله وأجمله ، وقد تقلصت عنه كلّ أوجاع البشرة ومتاعبها . وما أبعده عن وجوه الجماهير المتألّبة من حوله ، والوجوه الرائحة الغادية في كل معابر الأرض من القطب إلى القطب ، ومن الشرق إلى الغرب !

تلك وجوهٌ كل واحد منها ميدان تتصارع فيه الشهوات خيرها وشرها . والأماني حلوها ومرها . والنيات صالحها وطالحها . والأفكار مؤمنها وملحدها . وكلّ عوامل الحسّ قويّها وضعيفها ، قذرها ونظيفها ، رفيعها ووضيعها ، مفرحها وموجعها .

أما هذا الوجه فلا صراع فيه قط ، لأنّه وجه مَن داس آخر جمرة في سبيله الطويل ، وخطا أول خطوة في سبيله الجديد المفروش بالورود . هو وجه من تفتّتت آخر حلقة من سلسلة قيوده الأرضية فأسبل جناحي روحه ليطير في جو لا قيود فيه ولا حواجز . هو وجه من أدرك المحجّة التي لا محجة بعدها . وجه النبيّ الواقف في حضرة ربّه ومصدر إلهامه ، والرسول الأمين الذي أدّى رسالته بأمانة .

ذلك هو الوجه الذي ألجأ إليه هارباً من وجوه البشر — وجه الناصري بعد أن هتف « ايلي ! ايلي ! » إلى أن فاه بكلماته الأخيرة : « لقد أُكمِلَ . أبتاه في يديك أستودع روحي . »